(١٠) وتعالى عن الحدود والغايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

➢ **قال المؤلف–غفر الله له-** (**وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، والعرش والكرسي حق وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيطٌ بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه**)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،،

فلا يزال الكلام في موضوع توحيد الله سبحانه وتعالى، وفي توحيد الأسماء والصفات، وانتهينا إلى قول الطحاوي –رحمه الله– (**وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات**)

أراد الطحاوي –رحمه الله– بهذه القطعة الرد على طائفتين: إحداهما المشبهة "أهل التمثيل"، والثانية حلولية الجهمية الذين يقولون بأن الله تعالى حالٌ في مخلوقاته.

وعلى هذا الكلام استدراكات من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وذلك أن الطحاوي –رحمه الله– قد نفى أموراً لم يرد في الكتاب والسنة نفي ألفاظها، وإن كان أراد نفياً صحيحاً لكن ينبغي أن نعلم بأن ما يثبت لله وما ينفى مرجعه التوقيف، فالواجب علينا في مقام الإثبات إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى بلا تمثيلٍ ولا تكييف وبلا تعطيلٍ ولا تحريف، هذا الواجب علينا في مقام الإثبات.

كل ما أثبته الشارع كتاباً وسنةً وجب علينا أن نثبته لفظاً ومعنى، فنعبر بالألفاظ الشرعية ونثبت ما دلت عليه من المعاني الصحيحة ونحترز من أربعة محترزات، من التمثيل والتكييف ومن التحريف والتعطيل هذا في مقام الإثبات.

وأما في مقام النفي فالواجب علينا نفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم ننفي لفظه ومعناه ونضيف إلى ذلك اعتقاد ثبوت كمال ضده، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم فهو إما صفة نقصٍ أو عيبٍ أو مماثلةٍ للمخلوقين، فيجب نفيها كما نفاها الله ورسوله لا نعبر بها لفظاً ولا نثبتها معنىً.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

ثم لا نكتفي بذلك بل نضيف إليه إثبات ضد كمال الصفة المنفية، فإذا نفى الله عن نفسه الظلم أثبتنا له كمال العدل، وإذا نفى عن نفسه الجهل أثبتنا له كمال العلم، وإذا نفى عن نفسه العجز أثبتنا له كمال القدرة. لما تقدم من أن النفي المجرد لا يدل على كمال.

بقينا في النوع الثالث وهو ما لم يرد فيه نفيٌ ولا إثبات وذلك أن بعض المتكلمين أطلق ألفاظاً لم ترد في الكتاب ولا في السنة ثم نفاها، فما الواجب علينا في ما لم يرد فيه نفيً ولا إثبات من هذه الألفاظ المجملة؟

الواجب علينا التوقف في اللفظ والاستفصال عن المعنى، التوقف في اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه؛ لأنه لم يأتي به ناطق الكتاب ولا صحيح السنة فلا نثبته ولا ننفيه.

ثم إنا نستفصل عن مراد القائل فإن ذكر معنىً صحيحاً أثبتنا المعنى ورددنا اللفظ وإن ذكر معنىً باطلاً رددنا اللفظ والمعنى، هذه طريقة أهل السنة والجماعة وهي كما ترون طريقةٌ بينة مستوعبة لجميع الاحتمالات.

فإنه ليس ثمَّ إلا نفيٌ أو إثبات أو شيء لم يرد فيه نفيٌ ولا إثبات فتبين لنا الواجب علينا في كل مقامٍ من هذه المقامات، فما ذكره المصنف هاهنا ونفاه الواقع أنه يندرج تحت القسم الثالث وهو ما لم يرد فيه نفيٌ ولا إثبات.

ذكر الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ثم ذكر مسألة الجهات، فهذه قد نفاها الشيخ –رحمه الله– ونزه الله تعالى عنها وهو إنما أراد معنىً صحيحاً أراد بذلك الرد على الممثلة كهشام بن الحكم الرافضي، وداوود الجواربي ومن على شاكلتهم ممن وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين وسمات المحدثين فأثبتوا لله تعالى جسماً كأجسام المخلوقين وجثةً و صفاتٍ كما للمخلوقين.

فلأجل ذا قال الشيخ **(تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات)** أراد به ما ذهب إليه أولئك الممثلة.

لكننا عند التحقيق والتدقيق نقول إن هذا النفي ربما كان مدخلاً للمعطلة لينفوا عن الله عز وجل ما أثبت لنفسه من الصفات الخبرية فالله تعالى قد أثبت لنفسه وجهاً كريماً، ويدين تصحان بالعطاء والنعم ،وأثبت لنفسه سبحانه وبحمده عينين كريمتين ينظر بهما حقيقةً، وساقاً وغير ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة.

فقد يستطيل بعض المبتدعة بمثل هذه الإطلاقات على نفي الأمور الثابتات ثم إنا ننظر في هذه العبارات ونفصل فيها.

أولها: لفظ الحد الذي قال عنه(تعالى عن الحدود) والحدود جمع حد والحد هو الغاية التي يتميز بها الشيء عن غيره، قد ورد عن بعض السلف إثبات الحد وورد عن بعضهم نفيه، فالإمام الدارمي –رحمه الله–

عقد فصلاً في إثبات الحد وابن المبارك -رحمه الله- حينما سئل بما نعرف ربنا قال: بأنه فوق السماوات مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، فقيل له بحد، فقال: بحد.

وورد عن جمعٍ من السلف نفي الحد وعدم التحديد ولا تعارض بين مراد هؤلاء ومراد هؤلاء وذلك لأن لفظ الحد تارةً يراد به الحد الذي تحيط به العقول والعلوم فهذا لا شك أنه ينفى عن الله عز وجل لقول الله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه/١١٠] فالحد الذي نفاه الشيخ -رحمه الله- هاهنا هو الحد الذي تحيط به العقول وتدركه الفهوم، فهذا لا يمكن إلا أن ينفى عن المخلوقين فلا يمكنهم أن يحدوا الله تعالى بحد؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحد من قبل خلقه.

وقد يراد بالحد أن الله سبحانه وتعالى له ذاتٌ متميزة عن سائر المخلوقات فهذا حقٌ لا شك فيه وإلا لأدى ذلك إلى اعتقاد الله تعالى مضمحلاً في الكون.

والله سبحانه وبحمده كبيرٌ متعالٍ بائنٌ من خلقه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه فإذا سمعت من يثبت الحد من السلف فاعلم أن مراده بذلك أن الله تعالى له ذاتٌ لا تختلط بخلقه متميزةٌ عما سواه، كما يقولون بائنٌ من خلقه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه وأنه سبحانه غير مضمحل وبمعنى أنه لا نهاية ولا حد له هذا مراد من أثبت الحد.

أما من نفى الحد فإنه نفى أن يحدده خلقه بحدٍ معلوم معقول هذا تقصر عنه العقول و الأفهام ولا يحيطون به علماً.

وكذلك لفظ الغايات فإن الغاية قريبة من معنى الحد فلا يوصف الله تعالى بأن له غاية يدركها المتغيّ وإنما الله تعالى أعظم من أن يحيط به أحدٌ من خلقه لكن لا ريب أن الله سبحانه وتعالى له ذاتٌ متميزة عما سواه.

والأركان جمع ركن كذلك لا يطلق هذا القول في حق الله عز وجل؛ لأنه يفهم منها معنى التجزئة كما يفهم أيضاً من الفظة بعدها الأعضاء لفظ التعضية وهذا يدل على التركيب المحذور الذي يقع للمخلوقين.

فالذي نفاه الشيخ عن الله عز وجل الأركان أو الأعضاء التي تدل على أنه مركبٌ منها كتركيب البشر فالآدمي مركبٌ من صدرٍ ورأسٍ وبطنٍ وأطراف فهذه أركان بدن فهذه أركانٌ تنضم بعضها إلى بعض، فالله سبحانه وتعالى منزهٌ عن أن يكون أو أن تضاف إليه هذه الأوصاف الأركان والأعضاء التي تدل على معنى التركيب والتجزئة والتعضية، فإن هذا من صفات المخلوقين.

كذلك أيضاً ينزه عن الأدوات لأن الأدوات بمعنى الآلات التي يتوصل بها إلى الشيء، فهذه الألفاظ الخمسة قد قصد الشيخ -رحمه الله -بتنزيه الله عنها ما يفهم منها لا يفهم للمخلوق لكن لابد من الحذر من مثل

هذا النفي أن يتوصل به مبطل إلى نفي ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات الخبرية فإنا نثبت لله تعالى وجهاً كريماً ويدين وعينين وغير ذلك مما أثبت لنفسه دون أن نعتقد في إثباتها ما هو معهودٌ عند المخلوقين فالله سبحانه وتعالى منزهٌ عن ذلك.

وقد يحتاج في بعض المقامات كما نبه على ذلك شارح الطحاوية أن يعبر بهذه الألفاظ في سياقٍ معين لكن لابد أن يكون مقروناً بما يدل على المراد.

ومن مثل هذه الألفاظ لفظ الجوارح فإذا نفى أحدٌ عن الله مثلاً اليد بمعنى الجارحة فلابد أن يبين مراده بذلك وأن مراده بالجارحة ما هو من جنس صفات المخلوقين، أما أن يطلق القول في هذا ففيه فتح بابٍ لأهل البدع في نفي ما أثبت الرب لنفسه.

وأما مسالة الجهات فقد قال الشيخ –رحمه الله– (لا تحويه الجهات الست وسائر المبتدعات) والجهات الست أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال.

إذاً: أراد بذلك أن ينفي عن الله عز وجل عقيدة الحلول التي كان يقول بها أوائل الجهمية حينما يقولون إن الله تعالى حالٌ في كل مكان وربما استدلوا بأدلة المعية {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد/٤] وربما اعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى منبثٌ في الكون تعالى الله عن ذلك كما نبث النور ونحو هذا، فإن هذا كله باطل.

والله سبحانه وتعالى باطن مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه هذه عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة الفطرة السوية التي دل عليها الكتاب والسنة و العقل والفطرة والإجماع وتوافرت أنواع الأدلة الخمسة على إثبات عقيدة العلو لله تعالى.

فصار هذا الكلام مردوداً على حلولية الجهمية كما أنه أيضاً يجب أن يحترز من الوقوع في مذهب النفاة المعطلة الذين يقول قائلهم: لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا محايث ولا مجانب ولا محاذي ولا ويصفون الله تعالى بالسلوب، حتى إن العقل لا يمكن أن يثبت وجوداً كهذا الوجود إلا في الذهن، فغلاة المعطلة هكذا يقول قائلهم لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا محايث ولا مجانب ولا محاذي ولا مماس ولا ولا وجملة من النفي المسترسل الذي يدل على العدم فالواجب أن نثبت لله تعالى الفوقية أن الله تعالى له صفة العلو.

فقوله (**لا تحويه الجهات الست**) هذا كلامٌ صحيح وإن كان لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة بنفي ولا إثبات، وحينئذٍ فإنا نطبق عليه القانون السابق الذكر وهو أننا نتوقف في لفظه ونستفصل عن معناه فنقول لهذا الذي عبر بلفظ الجهة نفياً أو إثباتاً ماذا أردت بلفظ الجهة؟

فإن قال إنه قصد بالجهة أن الله سبحانه وتعالى في جهة السفل فلا ريب أن هذا باطل لأن السفل نقص والله منزهٌ عن النقائص فقد أخطأ في اللفظ وفي المعنى.

ولو قال إنه أراد بلفظ الجهة أن الله تعالى في سماواته على وجهٍ تحيط به سماواته تظله أو تقله فنقول أيضاً هذا معنىً باطل فقد أخطأت في اللفظ وفي المعنى، فإن الله تعالى أكبر وأعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، وإن قال إنما أردت بلفظ الجهة أن الله تعالى في جهة العلو فحين إذٍ نسلم له ونقول هذا حق، الله تعالى في العلو، وإضافته الجهة إلى العلو هذا يرفع الإشكال وقد عبر بها عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- وغيره.

فإذا أضيفت الجهة إلى العلو فلا بأس بذلك، لكن لفظ الجهة لفظٌ مجمل، فإن أريد بالجهة أنها جهةٌ مخلوقة فلا يمكن أن يكون الله تعالى يحويه شيء من مخلوقاته، وإن أريد بها جهةٌ عدمية وهي ما وراء العالم فلا ريب أن الله تعالى فوق عرشه والعرش وما دونه مخلوق وما فوق العرش رب العالمين فلا يحويه شيء من مخلوقاته.

ولا ريب أيها الإخوان والأخوات ومن بلغ أن العقول تتقاصر عند هذا الحمى، ولا يمكن لها أن تستكمل ما وراء ذلك، لكن يسعنا أن نقول كما قال ربنا عز وجل: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام/١٨] ، {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى/١] ،{الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد/٩] ،{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل/٥٠] ونحو ذلك من الأدلة الدالة على إطلاق علوه سبحانه وتعالى.

ويتصل بهذا قوله: (والعرش والكرسي حقٌ)، فإنا قد قدمنا هذه العبارة في هذا الموضع لاتصالها بمسألة العلو، والعرش هو الذي استوى عليه رب العالمين، وفي اللغة يعني سرير الملك، كما قال الله عز وجل في قصة ملكة سبأ: {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} [النمل/٢٣] ، وفي قصة يوسف {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ } [يوسف/١٠٠] فالعرش في لغة العرب يعني سرير الملك.

أما في الاصطلاح فإنه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها وله قوائم وتحمله الملائكة، هكذا دلت النصوص، أن عرش الرحمن أعظم المخلوقات وأعلاها وأقدمها فإنه أول مخلوق وأن له قوائم وأنه تحمله الملائكة أما يوم القيامة فقد صرح الله بعددهم فقال: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة/١٧] .

وقد ورد ذكر العرش في القران العظيم في نحو بضع عشرة آية، كقول الله عز وجل: { ثم استوى على العرش } [الفرقان/٥٩]، في ستة مواضع، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه/٥]، وكقوله {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النمل/٢٦]، و { رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون/١١٦]، {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ }[الحاقة/١٧]، {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [غافر/٧]، في بضع عشرة آية ذكر الله تعالى العرش.

وقد أخطأ خطأً فاحشاً من حرف العرش عن معناه وزعم أنه الملك وقال إنه كنايةٌ عن الملك، فإن هذا لا

يستقيم، فمن قرأ الآيات أبت عليه هذا التأويل الفاسد، فكيف يقال مثلاً {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ } [الحاقة/١٧] يعني ويحمل ملك ربك هذا لا يستقيم، وكذلك ما دلت عليه أحاديث السنة كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يصعق الناس يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى باطشاً بساق العرش، فما أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور).

فهل يقال باطشاً بساق الملك؟ هذا لا يستقيم وهذا من شؤم التأويلات الفاسدة، وإلا لو لزم الإنسان ظواهر النصوص واعتقدها على المعنى الائق بالله لم يقع في شيء من هذه الأخطاء.

إذاً: العرش ثابتاً في الكتاب وثابتٌ في السنة، فقد ورد ذكره في دعاء الكرب (لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم).

وكذلك أيضاً في وصف النبي صلى الله عليه وسلم لطبقات السماء في حديث الأوعال المشهور وهو حديثٌ يضعفه بعض أهل العلم ويحسنه آخرون في ذكر أن ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماءٍ وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء خمسمائة عام وفوق السماء السابعة بحرٌ كثفه ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وفوقه الأوعال ما بين أضلافهم وركبهم خمسمائة عام وهم يحملون العرش وما بين أسفل العرش وأعلاه مسيرة خمسمائة عام والله تعالى فوق ذلك.

وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عن العرش: (وإن عرشه على خلقه كهذا وأشار بأصابعه وقبَّبَها)، فلا شك أن العرش هو أعلى المخلوقات ومما يدل على علوه قوله في الحديث الصحيح (إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن).

فإما أن يقال بالنصب وفوقَه وإما أن يقال بالرفع، فإن قلنا بالنصب وفَوقَه عرش الرحمن فهذا يدل على ظرفية العرش وإن قيل وفوقُهُ عرش الرحمن فهذا يدل على أن سقف الفردوس هو عرش الرحمن، وهي على كل حال تدل أو تؤدي إلى معنى وهو أنه أعلى المخلوقات فجميع المخلوقات تحته والله سبحانه وتعالى فوقه.

ولا يجوز أيضاً أن يفسر العرش بأنه الفلك التاسع كما زعم هذا بعض أهل الهيئة يقصدون بهم علماء الفلك إذا قال العلماء علماء السلف أهل الهيئة يقصدون بهم علماء الفلك فقد صدر عن بعض أهل الهيئة والفلاسفة أن العرش هو الفلك التاسع وربما سموه الأطلس.

ويزعمون أن جريان الأحداث والحوادث الأرضية تكون بتأثيرٍ من العقل الفعال على الفلك التاسع فينشأ عنها الأحداث الأرضية، وكل هذا محض خيالاتٍ فاسدة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة وإنما هي تخرص.

ولشيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله– رسالة مستقلة في هذا بعنوان (الرسالة العرشية) بين فيها بطلان هذه

الدعوة وأن العرش ليس هو الفلك التاسع، ولكن العرش فوق جميع المخلوقات كالقبة فلا يلزم من أن يكون محيطاً بها إذ أن لفظ الفلك في لغة العرب يدل على الاستدارة، فلك المغزل هو ما تغزل به المرأة فيكون مستديراً يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، فالفلك فيه معنى الاستدارة وعرش الرحمن ليس مستديراً على الخلق وإنما هو كالقبة فوقها، والله سبحانه وتعالى فوق الجميع.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى محيطٌ بخلقه كما سيأتي في عبارة المؤلف فهو قال هاهنا: والعرش والكرسي حق فوجب علينا أن نثبت العرش مخلوقاً لرب العالمين ليس صفةً، لا شك أنه مخلوق وأن الله تعالى قد استوى عليه كما أخبر عن نفسه ويثبت أيضاً الكرسي وصنيع المؤلف يدل على أنه يميز بين العرش والكرسي وهذا حق.

فإن الكرسي غير العرش وإن كان في بعض النصوص ما يقتضي تفسير العرش بالكرسي لكن الناظر في مجموع النصوص يتبين له أن العرش أعظم من الكرسي وقد قال ربنا: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة/٢٥٥] وقد صح عن ابن عباس موقوفاً ويروى مرفوعاً (لكن لا يصح أن الكرسي موضع القدمين وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله) وهذا ثابتٌ عن ابن عباس، ومثل هذا لا يقوله ابن عباس –رضي الله عنهما– إلا عن توقيف فيكون له حكم الموقوف.

وقد عبر بعض السلف عن الكرسي بمنزلة المرقاة إلى العرش ومع ذلك فإن الكرسي قد أحاط بالسماوات والأرض، فالسماوات والأرض في الجو، بل إن نسبة السماوات والأرض كما جاء في حديث أبي ذرٍ مرفوعاً(ما السماوات السبع والأراضين السبع عند الكرسي إلا كحلقةٍ من حديد ألقيت في فلاةٍ من الأرض وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) وهو حديثٌ صحيحٌ إن شاء الله.

فهذا يدل على أن العرش غير الكرسي وأن الكرسي موضع القدمين كما فسر ذلك ابن عباس –رضي الله عنهما–، فنثبت العرش والكرسي ونعتقد أنهما حق ولا يجوز تأويلهما بتأويلات الفاسدة كما أسلفنا من تفسير العرش بالفلك أو تفسير الكرسي بالعلم، فإن هذا كله تفسيرٌ أو تأويلٌ فاسد، أو تفسير أحدهما بالآخر فإنهما متمايزان.

ولما ذكر العرش والكرسي أتبعه بعبارةٍ احترازية قطعاً لتوهم وهمٍ قد يقع من بعض العقول، قال:(**وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه**)، قد يظن ظان أنه لما أخبر الله تعالى بأنه قد استوى على العرش أن الله تعالى محتاجٌ إلى العرش ليحمله أو ليقيله وهذا فهمٌ باطل، إنما هو ناتجٌ من ممارسة المحدثات والمشاهدات.

أما ربنا سبحانه وبحمده فإن استوائه على العرش بمعنى علوهُ عليه واستقراره استقرارا يليق بجلاله وعظمته، ولا يلزم من ذلك احتياجه إليه ولا يلزم من ذلك إثبات مماسةٍ له فإن هذا ليس بلازم، فكل ما يدعيه النفاة من لوازم إنما

هي دعاوى لا تلزم ما أثبت الله لنفسه، فإنهم يذكرون لوازم مثلاً يقولون: يلزمكم من إثبات العرش أن يكون الله تعالى أكبر من العرش أو أصغر أو مساوي؛ لأنكم أضفتم الرب إلى العرش بالاستواء، الله أخبر عن نفسه بأنه استوى على العرش، لكن يقولون يلزمكم من إثبات حقيقة ذلك وجود نسبة وهذه النسبة تقتضي أن يكون أكبر أو أصغر أو مساوي والجواب سهل أن نقول هو أكبر ولا إشكال.

فهذه من اللوازم التي نلتزمها ونثبت منها ما كان حقاً فنقول نعم هو سبحانه أكبر وأعظم من العرش ومن سائر المخلوقات وأحياناً يذكرون لوازم ليست بلازمة كأن يقول مثلاً: إنه يلزم من إثباتكم استوائه على عرشه أن يكون مماساً له، نقول لا يلزم من ذلك إثبات مماسة فما أكثر أن يكون الشيء يعلوا على الشيء ولا يكون هناك مماسه أليست السماء فوقنا ومع ذلك ليست مماسه للأرض، ولا يلزم من ذلك أيضاً احتياج لأنه يقول يلزمكم من إثبات الاستواء أن يكون محتاجاً إليه، ولا يلزم من ذلك.

فما أكثر الأشياء التي يكون بعضها فوق بعض دون أن تكون محمولةً لها، فهذا السحاب مسخرٌ بين السماء والأرض لا يحتاج إلى الأرض أن تحمله بل السماوات لا تحتاج إلى الأرض أن تحملها، فكل هذه الإلزامات التي يدعون إنما نشأت لإلتياث عقولهم بلوثة التشبيه أولاً فيفرون من التشبيه ويقعون في التعطيل ولو أعطوا النصوص حقها ولم يتجاوزوا مدلولها لسلموا من ذلك، لو اعتصموا بما دلت عليه النصوص فأثبتوا ما أثبتت ولم يتجاوزوا ذلك ولم يدخلوا عليها ما ليس منها لما نشأ عن ذلك إشكال لكن الذي يتبع المتشابه يشقى، والله تعالى قد قال: {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه/٢] ، فأهل السنة اعتصموا بالكتاب والسنة لم يشقوا بالقران والسنة بل صاروا أسعد الناس بالدليل وأفرحهم بالتنزيل، وغيرهم لما استحب مقدماتٍ باطلة واعتقد ثم استدل شقي بالدليل وصار يحرفه بمنةً ويسرة ويحاول ليه فلم يجد إلا حصناً منيعاً وكتاباً عزيزاً {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت/٤٢] ، فباؤوا بالفشل والخيبة والخسران.

إذاً: هو سبحانه وتعالى مستغنٍ عن العرش وعن سائر مخلوقاته ذلك أنه الغني بذاته وكل شيء مفتقرٌ إليه سبحانه وبحمده فيجب دفع كل توهمٍ يطرأ على البال فهو مستغنٍ عن العرش وما دونه وفي هذا إشارة إلى أن العرش هو أعظم المخلوقات وأعلاها؛ لأن كلمة دون يقابلها أكبر وأعلى فدل ذلك على أن العرش هو أكبر المخلوقات وأعلاها.